ومن المسلّم به انه لا يمكن تقويم خطوة عملية دون تحديد موقعها وحركة توجهها، والاّ تجمّد الانسان عند التصورات الاولى، ولم ير تغيّر الظروف وضرورة تغيير الوسائل طالما ظل الهدف قائماً، والهجوم متصلاً. وبذلك لا يمكن تقويم خطة العمل السياسية الفلسطينية بعيداً من معادلة التراجع والهجوم هذه، وهي المعادلة التي حكمت العلاقة الفلسطينية ـ الاسرائيلية، ولا تزال تحكمها، منذ انطلاقة الثورة.

ان الواقع والمستقبل يكشفان عن ان الفعل الفلسطيني يحاصر المشروع الاسرائيلي على جميع الساحات، عسكرياً وسياسياً وفكرياً وحتى عرقياً، وانه يدفع بالعدو الاسرائيلي في اتجاه نهايته المحتومة، ويجعل بدائله وخياراته مسدودة النهايات، بينما تتحرك القيادة السياسية الفلسطينية وهي تملك خيارات متعددة، وتعزّز هجومها بانجازات لا عودة عنها، بنيوية وسياسية.

ومن الضروري أن يميّز أصحاب الرأي بين معارضتهم، أو موافقتهم المبدئية (من وجهة نظرهم)، وبين اختلافهم مع الموقف الفلسطيني في هذه الخطوة العملية، أو تلك، وهو اختلاف ايجابي، ومفيد، وحق لا يمكن تقييده، على الأقل لتنبيه القيادة من المحاذير التي يمكن أن تواجهها في حركتها. ولكن هذا الاختلاف لا يجب أن يؤدي الى المساس بما أنجز وتحقق على طول الطريق الطويل للثورة الفلسطينية المعاصرة، وهو الاستقلال بكل تعبيراته وأشكاله؛ كما انه لا يجب أن يضع قيوداً على حركة القيادة المسؤولة التي تتولى، بالفعل، قيادة العمل، بكل أشكاله.

لا يمكن توقّع الاتفاق على التفاصيل؛ بل ولا يجوز توّهم ذلك، خاصة وأن الجميع يسلّم باختلاف الظروف، وتنوّعها، واختلاف المصادر الفكرية وانتماءاتها، وحتى اختلاف المقدرة على الفعل واتباع المرونة. لذا، فان الدرس الذي قدّمته الدورة التاسعة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني، في هذا المجال، لا بد من تأكيده وترسيخه. فلقد أجمع أعضاء المجلس (مع اختلاف مواقفهم التنظيمية والسياسية) على اعلان دولة فلسطين. وقد عبّرت الأقلية عن اختلافها حول بعض الخطوات العملية (التكتيكية) مع تأكيدها على التمسك بالوحدة الوطنية الفلسطينية التي هي قلعة الاستقلال، وحاضنته، وثمرته أيضاً.

خلاصة القول، لقد انطلقت الثورة الفلسطينية المعاصرة في ظل ظروف تختلف، في جوانب عديدة، عمّا هو عليه الحال الآن؛ ولكنها، وعلى الرغم من التعرّجات الشديدة، حافظت على التصاقها، باستمرار، بالأرض وبالشعب، وجعلتهما قبلة التحرك والفعل والبناء، واستطاعت، في ربع قرن من الزمان، أن تقلب اتجاه حركة العدو، وأن تدفعه الى التراجع، مؤكدة، على الدوام، على الأرض والشعب والعلاقة فيما بينهما، باعتبارها ثوابت لا تتغير وغير قابلة للنفي.

وقد أمكن للثورة الفلسطينية، في هذه المرحلة المعاصرة، انجاز ما لا يمكن الرجوع عنه باعلان الاستقلال وابراز الهوية الوطنية الفلسطينية المستقلة التي تجمع كل الشعب الفلسطيني في مختلف مناطق تواجده، بحيث أصبح الانتماء الوطني الفلسطيني رابطة تجمع جميع ابناء الشعب، على الرغم من تنوّع الظروف التي يعيش في ظلها، وعلى الرغم، أيضاً، من تنوّع ساحات المعارك التي يخوضها.

كذلك استطاع الشعب الفلسطيني، بثورته ومؤسساته الوليدة، أن يدفع العدو الصهيوني الى مواقف التراجع حتى ظهر التشقّق واضحاً في المؤسسة الصهيونية والتنافر بين مكوّناتها البشرية والمؤسسية، بحيث تعمّقت تناقضاتها المميتة، فقُوّضت أسسها الفكرية والعقائدية، وتخبّطت